## المحاضرة الأولى

## نشأة الفلسفة في الشرق القديم

لقد جرت عادة المؤرخين أن يبدوا تأريخ للفلسفة باليونان رافضين بذلك أي تأثير للحكمة الشرقية القديمة لا تعدو كونها مجموعة من الأفكار الأسطورية الساذجة التي لا ترتقي إلى مستوى التجريد الذي وصلت إليه الأفكار اليونانية. ويعود ذلك الموقف إلى محاولة الغرب إنقاص والتقليل من إسهاماتهم **–أي الحضارات الشرقية–**في بناء الإرث الإنساني وجعلهم بذلك اليونان منبع الفكر المنظم والممنهج بترويجهم لفكرة **المركزية الغربية** .

**أولا: مشكلة نشأة الفلسفة:**

يكاد يجمع المؤرخون للفلسفة على أنها قد نشأت في بلاد اليونان منذ القرن السادس قبل الميلاد. ويؤرخ لبدايتها عادة طاليس الذي عاش على ساحل **أيونيا** وولد بمدينة ملطية في عام **624 ق.م**. تقريبا.

وربما يكون من الضروري قبل أن نخوض في مناقشة قضية نشأة الفلسفة أن نتساءل بداية عن الأصل الاشتقاقي لكلمة **فيلوسوفيا philo–sophia** التي يقال عادة إنها لفظة يونانية مشتقة من كلمتين يونانيتين هما: فيلوس–**philos** وتعني صديق أو محب. **وسوفيا– sophia** وتعني الحكمة.

ينظر بعض المتحيزين أن التفكير اليونانيّ قبل ظهور الفلسفة تميَّزَ بأنّه تفكير أُسطوريّ يعتمد على سرد القصّة الخياليّة.

وفي تلك الفترة كانت الأُسطورة، أو ما يُعرَف ب(خطاب الميثوس) هو الفكر السائد عن اليونان، وينظر إليه على أنه فِكر بعيد عن البراهين العقلانيّة، ومع مرور الوقت حدث الفَصل بين فِكر الميثوس (الأُسطوريّ)، وفِكر اللوغوس (العقليّ)، والذي ساعد على ذلك

ظهور الرياضيّات، وظهور العُملة بَدل المقايَضة، وتطوُّر الجانب التجاريّ، والمِلاحيّ للدولة اليونانيّة.

في القرن 6ق.م، بدأت بوادر الحكمة بالظهور على يد طاليس والحكماء السبعة ، ثمّ ظهرت إصلاحات في المجال التنظيمي والسياسي في القرن الذي عقبه، علماً بأنّ هذه الإصلاحات كان لها دورٌ مُهمّ في ابتكار المؤسَّسات السياسيّة، أو ما يُعرَف بظهور الدولة المدينة مما ساهم ذلك في تنظيم الحياة الاجتماعيّة في الحضارة اليونانيّة.

مع ظهور المدينة في الحضارة اليونانيّة، ولأوّل مرّة في تاريخ البشريّة، ازدادت القضايا، والمسائل العامّة بين الناس بشكل غير خاضع للحَسْم، كما أصبح من اللازم إجراء سِجال عَلَنيّ، ونقاش مُدعَّم بحجج، وبراهين، بخصوص القرارات المتعلِّقة بالمصلحة العامّة، وأصبح لكلِّ مواطن الحقّ الكامل في التعبير عن رأيه فيما يتعلَّق بقضايا الشأن العامّ، وساد النظام السياسيّ الديمقراطيّ ضمن نظام الدولة المدينة، ومن الجدير بالذكر أنّ هذه العوامل، وغيرها، مهَّدت الطريق لنشأة الفلسفة التي امتدَّ تاريخ نشأتها في الحضارة اليونانيّة من القرن 7ق.م، إلى القرن 4ق.م

اختلفت آراء الباحثين والمؤرخين بخصوص المكان والزمان الذي نشأت فيه الفلسفة، ويمكن إجمال هذه الآراء في رأيين رئيسيين هما:

## الرأي الأول:

في القرن الرابع قبل ميلاد المسيح، رد أرسطو نشأة الفلسفة إلى اليونان وانحدر بها إلى طاليس في النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد، وبهذا يكون أرسطو قد أرجع بداية الفلسفة ونشأتها من حيث المكان إلى بلاد اليونان.

أما بداية الفلسفة ونشأتها من حيث الزمان، فقد أرجعها أرسطو الى الفترة التي عاش خلالها طاليس; أي النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد، وقد استمر هذا الرأي إلى منتهى القرن التاسع عشر، حتى كاد هذا الرأي أن يستقر على أن الفلسفة اليونانية لم تنشأ متأثرة بعناصر شرقية، بل نشأت من تربة يونانية خالصة. وعلى رأس أصحاب هذا الرأي عدد كبير من الباحثين الغربيين والمختصين بالفلسفة اليونانية وتاريخ الحضارة اليونانية، أمثال ونيتشه .( نيتشة فريدريك فيلسوف ألماني يقع ترتيبه بعد هيجل وكانط في سلم الفلاسفة الألمان، ولد سنة 1844 من أسرة من القساوسة لكنه شديد الإلحاد. من أهم كتاباته: الفجر، والعلم المرح، ونشأة التراجيديا... توفي سنة 1990م انظر: موسوعة الفلسفة د/ بدوي.).

وبرتراند راسل وعبد الرحمن بدوي...، غير أن هؤلاء المؤرخين للفلسفة اليونانية لا ينكرون أن تاريخ البشر قد شهد نشوء حضارات عريقة، وعظيمة، في بلاد الشرق، سبقت قيام الحضارة اليونانية، مثل الحضارة التي قامت في بلاد الرافدين والحضارة التي قامت في وادي النيل وكذلك الحضارة الفارسية والهندية. ويؤكد هؤلاء أن التفكير الإنساني قد شهد في ظل الحضارة اليونانيةً تحولا نوعيا جعله يتميز عن نمط التفكير الذي كان سائدا في الحضارات السابقة على الحضارة اليونانية; فأهم ما يميز التفكير في ظل الحضارة اليونانية هوِ التماس المعرفة لذاتها، فالعقل يتجه الى كشف الحقيقة من غير أن تدفعه إلى ذلك أغراض عملية أو غايات دينية، بينماَ التمس الإنسان في ظل حضارات الشرق المعرفةّ ليسد بها حاجات عملية أو يشبع بها عقيدة دينية.